

باب المراسلة والمناظرة

﴿ من بحث الكرامات ﴾

الى حضرة البارغ الفيور ابي عبدالله الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ايده

الله وسدد مسعاه

السلام عليكم وبعد فقد طالما تشوقنا الى مناسبة المراسلة وارتباط المواصلة حتى
حان وقتها بمناسبة ما كتبتموه في جريدة الاتحاد العماني من اجمال رحلتكم الى سورية
فنهنتكم بتعاهدكم للوطن الاول واكتسابكم علما باحوال ما كان غائبا عنكم واطلعنا
على مقاصد دروسكم وخطبكم الدالة على غزارة علم وجودة براعة وحسن احساس
وشعور من تبيينهم للتعاون على البر والتقوى والتماضد ماديا وادبيا والسعي في
عمارة الدارين وحضكم العلماء والمفكرين ان يكون وعظيهم وتعليمهم مؤسسا على
الكتاب وما صحح من السنة فقها وعقائد وادابا فلقد وفيتم ما عليكم من مسؤولية
قوله تعالى (ولكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) الآية وقد ابغتم
تلك النصائح بالحكمة والموعظة الحسنة فصنعكم هذا لا ينكره عالم يتحرى السنة
والجماعة ولا يستقله الا جاهل او حاسد فنشكركم على تلك المهمة والحزم السديد

بقي بحث الكرامات ذكرتم انكم تعرضوا له في الشام وقد تعرضتم له الان اماما احترم
عليه في مجلدات المنار فمع الاسف انني الى الان ما رأيت من المنار عددا للسبب الذي كان
حائلا في الاستانة كما لا يخفى ولكن النقطة المقصودة هنا من بحث الكرامات جلية من
الاجمال المسطور في الاتحاد العماني وقد اكدتم على اهل العلم ان يكتبوا لكم ما ظهر لهم فانكم
طوقتم اعناقهم امانة شديدة المسؤولية فيكون السكوت منهم وفاقا في جميع ما هو مسطور
هناك فاخترت مكاتبتكم بما عن لي والمأمول من كالم الانصاف والرجوع الى الحق الذي
يتبين لكم فتقول: قولكم في الكرامة « انها لا تكون مخالفة لسنن الله تعالى في خلقه بتغيير
او تبديل او تحويل لان الله تعالى اخبر بان سننه لا تبدل ولا تتحول » هذا لفظكم تعنون

قوله تعالى (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) تفسير هذه الآية ونحوها بهدم خرق العادة وعدم انحراف سبيل الطبيعة في الكون موجب للاسف وقد سمعت الاحتجاج بها مرارا على لسان من يدعي انحصار حوادث الكون في الاسباب انحصارا كليا ورأيت في كتب جديدة عربية وتركية ولا أدري أول من دس هذا البلاء تحت هذه الآية الكريمة فهو دفع للمعجزات النبوية بالصدر لانها محض خرق العادة وما هو الا تبديل وتحويل لما هو معتاد في النظام الكوني وليس لاحد ان يفرق بين المعجزة والكرامة في أصل التبديل والتحويل لانه لا دليل على تخصيص عدم التبديل والتحويل بزمان دون زمان فالمراد بسنة الله في الآية نصره لانبياؤه ومن قفاهم ، وخذ لانه لاعدائه ومن والاهم ، ونحو ذلك من احقاق الحق وابطال الباطل . قال المحقق مجدد القرن الثاني عشر الامام الشوكاني في تفسير فتح القدير تحت هذه الآية مانصه «فهل ينظرون أي فهل ينتظرون الاسنة الاولين أي سنة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل باولئك فلن تجد لسنة الله تبديلا أي لا يقدر احد ان يبديل سنة الله التي سنها بالامم المكذبة من انزال عذابه بهم بأن يضع موضعه غيره بدلا منه ولن تجد لسنة الله تحويلا بأن يحول ماجرت به سنة الله من العذاب فيدفعه عنهم و يضعه على غيرهم ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما ثم قال أولم يسبروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى ما قبلها وتأكيده »

ومثل الشوكاني سائر المفسرين من أئمة الدين ولا يقال هنا العبرة بهموم اللفظ لأن المعنى الذي زعموا تناول اللفظ اياه مناقض لاكثر آيات القرآن التي قصت وقائع الانبياء وغيرها من عجائب قدرة الله كمنار ابراهيم وعصا موسى وخلق الله عيسى بلا اب وواقعة اصحاب الفيل وغير ذلك ولنا ان نقول نزوعا بالآية اعتباراً بهموم اللفظ عموما لا ينتقض آية اخرى من سنة الله ان يخلق اشياء باسباب لحكمة واشياء بلا اسباب لحكمة ولن تجد لسنة الله تبديلا . واعجني ما كتبه صاحب الحية الاسلامية مفتي الديار المصرية في كتابه المسمى « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » بمداشارته الى حديث « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا

بذراع ، قال في صحيفة ١٣٨ : ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت احكام سنن الله فيهم فهل ينتظر المتبعون سننهم السارون على أثرهم ان يصنع الله بهم غير الذي صنع بسابقهم وقد قضى بان تلك سننه ولن نجد لسنة الله تبديلا . اه فان كان مرادكم سد الذريعة خوفا توسيع الخرق على الراجع من جهة العامة فسد الذريعة من اصول الشريعة لكن مع السلامة من مفسدة أكبر من تلك وخوفكم على العامة بهذه المثابة إفراط فانه لا تلازم بين جواز وقوع الكرامة خرقا للعادة باذن الله وجواز ما يعمل من البدع في زيادة الاولياء والغلو في الاعتقاد . وانتم تعلمون ان الكرامة ثابتة عند أهل السنة قاطبة حتى الاسفرائيني والقشيري المروي عنها البحث في شأن الكرامة ما انكراها وانما قالوا لا تبلغ مبلغ المعجزة وبعضهم شرطان لا تتوالى وتترادف ترادفا يجعلها عادة وفيه نظر . وكلامنا الآن في جواز اصل وقوعها امكانا وسنة ، لاني عوارضا وارشاداتكم على طريقة السلف الصالحين في الاعتقاد ، وهل نطق بذلك احد من اهل القرون الثلاثة ؟ فأمأوا المسألة فان خطرها كبير والماديون والطبيعون بالمرصاد فاذا سمعوا علماء الملة يقولون بفسد خرق العادة فيا بشراهم بينون على هذا الاساس الموهوم ماشاءوا لان مذاهيبهم انزال الخلق جل جلاله عن التصرف في العالم استغناء بالطبيعة أعادنا الله واياكم من الضلال وبالله تعالي التوفيق

محمد المكي بن عزوز بالأسنانة

(المثار) إننا لا نقول بأن ما يعبر عنه بخوارق العادات غير جائز ولا غير واقم بل نقول الآن كما قلنا من قبل انه جائز وواقع وان كانت الآيات التي أيد الله بها الانبياء ليست محصورة في الخوارق الكونية وقد كانت عبارة الكرامات التي ذكرناها في المقالة التي نشرناها في جريدة الاتحاد العماني مجسلة لأننا كتبناها بعد كتابة تلك المقالة فأودعناها بين سطورها في المكان اللائق بها فكان إنجازها هو السبب في إجمالها ولم نر بذلك بأسا لاننا أحلنا على ما سبق لنا من التفصيل الذي يبين مرادنا . وفي تلك المقالات التي نشرت في المجلد الثاني والمجلد السادس يان مستفيض لكل ما ألم به صاحب هذه الرسالة ومنه البحث في تأييد الدين بالخوارق

وفي عدد كثير من علماء الدنيا اياها شبهات على الدين ومنفرات عنه فصي أن يطلع عليها كلها ثم يبين لنا رأيه فيها . وانا نقل الآن له شيئاً منها يتعلق بمرادنا من قولنا ان الكرامات لا تكون مفيرة لسنن الله تعالى

كتبنا في المقالة الثامنة من مقالات « الكرامات والخوارق » التي نشرناها في الجزء الأول من المجلد السادس الذي صدر في غرة المحرم سنة ١٣٢١ م انصه (ص ١٧)

« أما البحث في آيات الأنبياء كيف وجدت وهل كانت كلها بمحض قدرة الله تعالى التي قامت بها السموات والارض أم كانت لها سنن روحانية خفية عن الجمهور خصمهم الله تعالى بها كما خصمهم بالوحي الذي هو علم خفي عن الجمهور ؛ فكل ذلك مما لا يفيد البحث فيه بل ربما كان ضاراً . ومبلغ العلم فيها انها كما قال ابن رشد قد وجدت ونقلت نقلاً متواتراً اعترف به المؤمنون بهم والكافرون الذين سموها سحراً لجهلهم بالفرقة بينها وبين تلك السموات والحيل الباطلة . وفي شرح المواقف ان المعجزة كل ما يراد به إثبات النبوة وان لم يكن من الخوارق

« فعمل بهذا ان آيات الأنبياء عليهم السلام مصنوعة من انكار المنكرين » واعتراض الواهين ، وانها قد انتهت فلا يخشى ان يضر الاعتقاد بها في الزمن الحاضر وما بعده كما انه لم يضر في الماضي وإنما كان نافعا ، اه من سياق الكلام في مبحث تنفير الخوارق عن الدين

وذكرنا في المقالة التاسعة التي نشرت في الجزء الثاني من ذلك المجلد (ص ٥٥ م ٦) عدة مسائل في الموضوع الأولى منها في سنن الكون وكونها عامة في ارتباط الاسباب والمسببات والثانية في كون الظن لا يعارض اليقين والثالثة في كون روايات الآحاد تفيد الظن . والرابعة في كون المعجائب والخوارق قد نقلت عن جميع الامم ووجوب تمحيص النقول وتحريرها . والخامسة في تمحيص المروي « ليعلم انه واقع حقيقة ولم يكن تخيلاً للانظار ، أو خداعاً للأبصار أو الافكار ، » وهذا نص السادسة :

« قد كشف العلم أسباباً لأمور كثيرة كانت تسمى خوارق وكرامات فإذا علم بعد تمحيص الرواية والمروي أن شيئاً من هذه الغرائب وقع لا محالة فينبغي الرجوع

لا يتناس الاسباب من مظاهرها في العلم الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحمل عليه ، ولا وجه يمكن ان يوئل اليه ، فهو الذي يصح ان يسمى خارقة أو أعجوبة ، والنظر فيه من وجوه ؛ حال من ظهر على يده وامكان قياسه على غيره ، ثم بينا ذلك وانترض منه — كما لا يخفى — تنبيه الناس لحيل الدجالين ، وجذب مبغضي الخوارق الى الدين ، ولتلك قلنا في المسألة العاشرة (ص ٥٩ م ٦) مانصه :

« اذا فرضنا ان العلم أظهر لما يؤثر من المعجزات عللا روحانية ، وأسبابا خفية ، (أي كما يعتقد منكر و الخوارق الآن) فلا يهمن واهم ان ذلك قدح في النبوة أو ظهور بطلانها ، كلا إن تحقق (تأمل) فلا يعذر ان يكون تحققه مظهرا لحقيقة النبوة كأن يتبين ان الارواح العالية التي تتصل بالعالم الاعلى وتستمد من عالمه الذي يسمى الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الفرية كإحياء الموتى وقلب العصا حية . فان لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عنده لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سنته الظاهرة والخفية ، وما كانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بعشيتهم وارادتهم كما شاؤوا وكيفما شاؤوا ، وإنما كانوا يتبرؤون من حولهم وقوتهم ويسندون ما يؤيدهم الله سبحانه به اليه ويقولون انه واقع بإذنه ، وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان ، وكانوا لا يعطون الآيات الا بعد معاندة ومجاهدة من قومهم والخاص في طلب آية لا يعرف مثلها عن البشر في اعالم السبية ، وكان الله تعالى يقيم عليهم الحجة التي يطلبونها ولم تكن هي المصنعة في إثبات الدعوة الى الله وبيان وحدانيته وقدرته وعلمه ووجهه (ألم يأتيكم نبي الدين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والدين من بعدهم ، جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به ، وإنا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب » قالت رسلهم اني الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ، قالوا ان أتم الابشر مثلنا تريدون ان تصدقونا عما كان يبدأ أبائونا فأتونا بسلطان مبين » قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله ينف على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليترك كل المؤمنون) فهذه سنة الله في الانبياء والامم : يدعو النبي قومه

الى الله بالينة وهي كل ما يتبين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطلبون منه آية كونية فيبتدأ من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخوفهم بها فينضع المستعد لقبول ذلك، ويتماد الآخرون فتحقق عليهم كلمة العذاب، قال تعالى (وما نرسل بالآيات الا تخوفاً)

«فإذا فرغنا ان العلم أظهر سبباً مقولاً لآيات موسى عليه السلام فهل يتأني ذلك أنها كانت تخويفاً لفرعون وقومه وجاذبة لبني إسرائيل الى طاعة موسى بالارهاب اللائق بأمثالهم في بلادهم وجفوتهم ؟

« نعم ان ما يتوقع كشفه بالعلم سيكون القاصي على بقايا دين لا يحتاج على صحته الا بالسجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم ، ولا سند متواتر على صحة كتابهم ، أولئك الذين ينعمون في كل بلاد اسلامية : ان القرآن لم يثبت لمحمد (عليه افضل الصلاة والسلام) السجائب والخوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست صحيحة !! . فالعلم الإلهي والشرائع الدينية والمدنية والحرية والسياسية وتكوين الامم وتربيتها من رجل أمي تربي يتيا في جاهلية جهلاء وأمة أمية لا يرويه تأييداً إلهياً ، وبرهاناً على صدقه قطياً ، وإنما البرهان عندهم هو تلك الحكايات التي نقلونها في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كتبهم أعظم منها ، أه ومنه يعلم اخوتنا صاحب الرسالة مرماناً في هذه المباحث وانها تأييد دعوة الانبياء ومحاجة منكري آياتهم ومعجزاتهم ، فهل يخاف بدهذ ان يكون كلامنا حجة لهم ؟ ولا يحسبن اننا نصور شياً لم ترد علينا كما فعل كثير من عالمانا كالرازي وغيره . كلا اننا نرد على قوم موجودين وشبهات كثير الحديث فيها .
وهاك نص المسألة الثانية عشرة (ص ٦٦١) :

«سبق في المقالات الاولى ان اصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بأن الاولى لا بد ان تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسمونه التحدي ، والثانية لا تكون كذلك . وبأن الاولى يجب إظهارها لاقامة الحجة ، والثانية يجب إخفاؤها خوف الفتنة ، وزاد بعضهم كالتشيري من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى ان الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحياء الموتى وانما تكون فيما دون ذلك كشفامريض ومكاشفة ظلال القول المشهور : ما جزأ ان يكون معجزة لبي جاز أن يكون

(المنار ج ١٢م ١١) المعجزات . عدم مخالفتها السنن . صدى حادثة الشام بتونس ٩١٧

كرامة لولي . ولقائل ان يقول جمعا بين القولين : اذا جاز ذلك في تصور العقل فانه ما وقع ولا يقع بالفعل » اه

هذا وقد بحثنا في مسألة الخوارق والسنن الالهية في غير هذه المقالات كدروس الامالي الدينية في العقائد . وبيننا ان السنن منها ما يتعلق بالعالم المادي ومنها ما يتعلق بالعالم الروحاني وان من يقول ان آيات الانبياء والكرامات لا تخالف سنن الله تعالى فإرادته سننه العامة لان مخالفتها للسنن المادية قد شوهدت في زمن ظهورها ونطبق به الكتاب المعصوم وهذا الذي أوردناه هنا يكفي لتفصيل ما رآه اخونا الكريم صاحب الرسالة في مقالنا التي نشرناها في جريدة الأتحاد العماني

وانا نشكر له فضله وعنايته بما كتبنا ومراجعتنا فيما انكره منه فحسب ان يكون الشكر مدعاة المزيد من مثل هذه المراجعة المفيدة ومثله أهل لذلك . فحيا الله العلماء المنصفين ، وجعل سيرتهم عبرة يستفيد منها الناس التفرقة بين علماء الآخرة وعلماء السوء الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فاذا رأوا عبارة يمكن انتقادها لاجمال فيها وغموض ، أو لكونها خطأ لصدورها عن غير معصوم ، اخذوا يشنعون ويتعابون ، ولكنهم لا ينبهون صاحبها ولا ينصحون ، وان لم يجدوا ذلك استنبطوا واخترعوا ، وتقولوا وكذبوا ،

ان يسمعوا انظروا أخفوه وان سمعوا شرا اذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

صدى حادثة الشام

﴿ في تونس ﴾

جاءنا هذا الرقيم من أحد علماء تونس المصالحين وقد سألتنا نشره في المنار واننا نشره اجابة لسوءه مع الشكر له ولاولئك الذين يحسنون بنا الظن قال :

أيها السيد الكريم

من ذا الذي يعلم خدمتك للملة ، وجهادك في سبيل ترقية الامة ، ثم لا يسجد

لله شكرا على ما نجاك ممن أراد بك كيدا، فهنيئا للعلم والحكمة، بما أسبغ الله عليهما من النعمة،

وقد رأيت المصطفين الأخيار، من نابتة هذه الديار، فرحين بما آتاهم الله من فضله، واقاض عليهم من طوله، اذ حفظ زعيم هذه الامة، الداعي الى سبيل ربه بالموعظة الحسنة والحكمة،

واني لأذكر بهذه الحادثة ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد من عمر بن قتيبة، وأحب ان يذكر ذلك اسرى الاوهام «حيثا كانوا» ممن يرون هذه الحادثة اثرًا من آثار تخرج الدين عليك، وانتظاره الفرص للانتقام منك، كلا والله، انك لمن أحب الناس اليه، واكرمهم عليه، ولو تمثل لهم بشرا لرأوه بحمد الله حمداً كثيراً، ويشكره بكرة واصيلاً، على ان الحادثة — بفضل الله — لم تزد درجاتك الا ارتفاعاً، وصيتك الا اشتهاراً، ولكنهم يفهمون الشرف مقلوباً، والمجد معكوساً. فيالله والدين والانسانية، وطلاب الاصلاح من نطاء الجمعية البشرية، من هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون، ويلقبون انفسهم بالفهماء وهم لا يفهمون، ويحسبون انهم على شيء، ألا انهم هم الكاذبون.

وانا نشكر للمنار الزاهر فضله في تبديد حزبهم، وتزيق شملهم، والاجهاز على مذهبهم حتى أصبحت كلمة الحق هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى، وازداد ايماننا بما قال الله في كتابه (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً وايا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فاما الزبد فيذهب جفاء، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض، كذلك يضرب الله الامثال)

والله يحفظك لحماية دينه والدعوة الى سبيله، والسلام.